

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 قالمـــــة



كلّية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم علم الآثار

مصليات الطريق الصاعد لمدينة مداوروش

دراسة وصفية تحليلية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآثار القديمة

من إعداد الطّالبة:

* إيمان مخالفة

تحت إشراف :

محمود شاوش

أعضاء لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتـــــبة	الصـــفة	الجامـــــعة
أ.د محند آكلي إخربان	أستاذ مساعد "أ"	مناقـــــــشا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ. محمود شاوش	أستاذ مساعد "أ"	مـشرفا ومقررا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة
أ.د عبد الرزاق جراب	أستاذ التعليم العالي	رئيـــــسا	جامعة 08 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية:2017-2018م


بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا

الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل أتقدم بخالص الشكر

والتقدير والاحترام إلى الأستاذ "محمود شاوش" على كل ما قدمه

لي من توجيهات ومعلومات قيمة لإثراء موضوع دراستنا.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى رئيس وكافة

أساتذة قسم الآثار



إن الشكر والتقدير لصاحب النعمة الذي أنعم علينا وسدد خطانا ووفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع، وأقول:

كيف أنطق بحب أعظم ما لمسته منذ الصغر، حصنا أستند إليه في مأساتي ويطوق لحمل كل أفراحي, هو سندي ومن رافقني في رسم خطوات دربي، ذاك هو أبي رعاه الله.

بعدها لا يكون للحياة معنى ولا للابتسامة ثغرة شوقي الذي أنار بهمستها وحبي الذي نما بلمسة من كفيها، أقول وأقول ويبقى القول مجرد قول, إلى قرة عيني أمي حفظها الله.

تجف كل الأقلام ويتوقف اللسان عن الكلام عند ذكر فرحة الأيام ويبقى مدى الحياة في كل قلب أخر العنقود وأخي الوحيد صلاح الدين.

إلى أخواتي: نعيمة، شهيرة، وسيلة، صفية، أمينة، وفاء ، سارة ونسرين.والى زوجي حسين

وإلى زملائي و صديقاتي بفرع الآثار القديمة.

إيمان

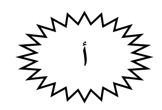
مقدمة:

تعتبر مقاطعة نوميديا من المقاطعات المهمة والغنية بالآثار والتي لاتزال في مراحل اكتشافاتها على الرغم من الجهود التي بذلها المختصون حاليا أو تلك التي بذلها الرحالة والمستكشفون الأجانب في السابق، إلى أنها لم ترقى إلى مستوى العناية والاهتمام الذي حظيت به بقية الدول المجاورة كتونس والمغرب .

ولقد خلفت الشعوب القديمة في المنطقة أثارا كثيرة تدل على حضارة راقية ولا تزال بعضها قائمة والكثير منها لايزال ينتظر تدخل المنقبين والأثريين، بالإضافة إلى أن بعض المدن استمر العيش فيها حتى الوقت الحاضر مثل:قسنطينة، سطيف جيجل وعنابه وغيرها من المدن .

وإذا كان الدين ظاهرة رافقت الإنسان منذ القدم، فقد تطور الفكر الديني من حالة بدائية ساذجة إلى حالة عالية متكاملة، مرورا بالفترة المسيحية حيث شكلت العمارة الدينية العلامة البارزة في تلك المخلفات، فمنذ انتصار المسيحية على الوثنية وأصبحت دين للدولة الرسمي، انتشرت المعالم المسيحية في المنطقة وفي كل العالم القديم، وفضلا عن كونها مركزا دينيا يتلقى فيه الناس تعاليم دينهم، ويقيمون الطقوس الدينية فيها، كانت أيضا مركزا للحياة الاجتماعية لقضاء حاجات المسيحيين، فضلا عن ذلك فقد أدت دورا بارزا في الحياة الفكرية والأدبية، فقد اهتمت الإمبراطورية بالكنيسة كمؤسسة دينية تتحكم في وحدة المجتمع، ما يعني وحدة الإمبراطورية .

الشيء الذي دفع بنا إلى محاولة البحث في هذا النوع من المواضيع، الذي يخص العمارة الدينية في الفترة المسيحية عامة ما هو إلا محاولة لتوضيح الأفكار الغامضة ومن خلال دراسة احد المعالم الرئيسية المنتشرة الاوهي: المصليات في الطريق الصاعد بمدينة مداوروش والتي هي عبارة عن كنيسة صغيرة مستقلة عن

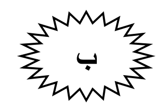


مبنى الكنيسة الكبيرة التي تؤدى بها الشعائر الدينية وهي أصغر وحدة في النظام الكنسي.

انتشرت العقيدة المسيحية في ضواحي وأرياف المقاطعة خلال القرن 3 م، وانتشارها يمكن حصره في الوضعية الإقتصادية والإجتماعية المزرية التي مرت بها وكانت ضحيتها الطبقة الكادحة، وأصبحت تشكل خطرا على وحدة الإمبراطورية الرومانية، لذا حاربها الأباطرة باضطهاد أهلها للإبتعاد عن المسيحية والرجوع الى الوثنية، مما أدت هذه الاضطهادات إلى ضعف همة كثير من رجال الدين حتى أنهم سلموا نسخ الكتاب المقدس إلى السلطات الرسمية المنفذة للإضطهاد، ومن هنا نتجت فرقتان تناحرتا إلى يوم إعلان المسيحية كدين للدولة، تجسد هذا التناحر في الصراع المعروف لدى المؤرخين بين الكاثوليكيين التابعين للسلطة والدوناتيين المناوئين لها .

وهذا الصراع من شانه خلق نشاط ديني كثيف خاصة إذا عرفنا من خلال المصادر انه وصل هذا النشاط إلى التنافس في بناء البازيليكات المسيحية، ومحاولة الهيمنة على المنطقة بعدد بازيليكاتها وعدد مرافقها وكثرة إتباعها .

والهدف من دراستنا لهذا الموضوع، هو محاولة إعطاء نظرة شاملة وبسيطة حول هذه الآثار، وبداية ارتأينا أن نشير إلى أن هذا العمل له جانب نظري الذي يتمثل في جمع المصادر والمراجع حول المدينة وتاريخها، أما فيما يخص الجانب التطبيقي فقد قمنا بالتنقل الى الموقع في عدة زيارات وذلك قصد الدراسة من خلال الملاحظة وأخذ الصور والمقاسات بكل أجزاء المعلم المراد دراسته، دون أن ننسى أن معظم هذه البقايا الأثرية التي نقوم بصدد دراستها، عثر عليها أثناء الفترة الاستعمارية وقد قمنا بانجاز هذا البحث والذي يندرج تحت عنوان "**مصليات الطريق الصاعد لمدينة مداوروش دراسة وصفية تحليلية** ".



تتمثل الإشكالية الرئيسية للبحث في معرفة مخطط الطريق الصاعد، مع محاولة ربط العمارة بملحقاتها وهذا لغرض وضع المبنى الديني في محتواه الزمني والمكاني وحتى الوظيفي ، وتحت هذا العنوان تندرج الاشكاليات الفرعية:

- هل كان الصراع المسيحي بين الدوناتيين والكاثوليكيين له اثر كبير في وضعية انتشار المعالم الدينية في مدينة مداوروش ؟

- ماهي الكنيسة ؟ مايميزها من الناحية المعمارية ؟ وما هي تقنيات ومواد بنائها؟

ونظرا لطبيعة وأهمية الموضوع، قمنا بتقسيم هذا البحث كما يلي :

مقدمة: تم فيها التعريف بالموضوع وحدوده، ذكر أهداف الدراسة، وطرح الإشكاليات المراد دراستها.

الفصل الأول: بعنوان الإطار التاريخي والجغرافي لمدينة مداوروش، قمنا فيه بتعريف الموقع الجغرافي لمدينة مداوروش، لمحة تاريخية عن المدينة، ودراسة معالم الموقع وتاريخ الأبحاث.

الفصل الثاني: الذي تطرقنا فيه إلى الدراسة المعمارية للمعالم الدينية الموجودة بالطريق الصاعد، تحدثنا فيه عن انتشار المسيحية في شمال افريقيا، التعريف بالشارع الصاعد ، والبازيليكا الكبيرة ، دراسة وصفية تحليلية لكنائس مداوروش، قمنا فيه بوصف عام لكنائس، مع التطرق لتقنيات البناء والأرضية.

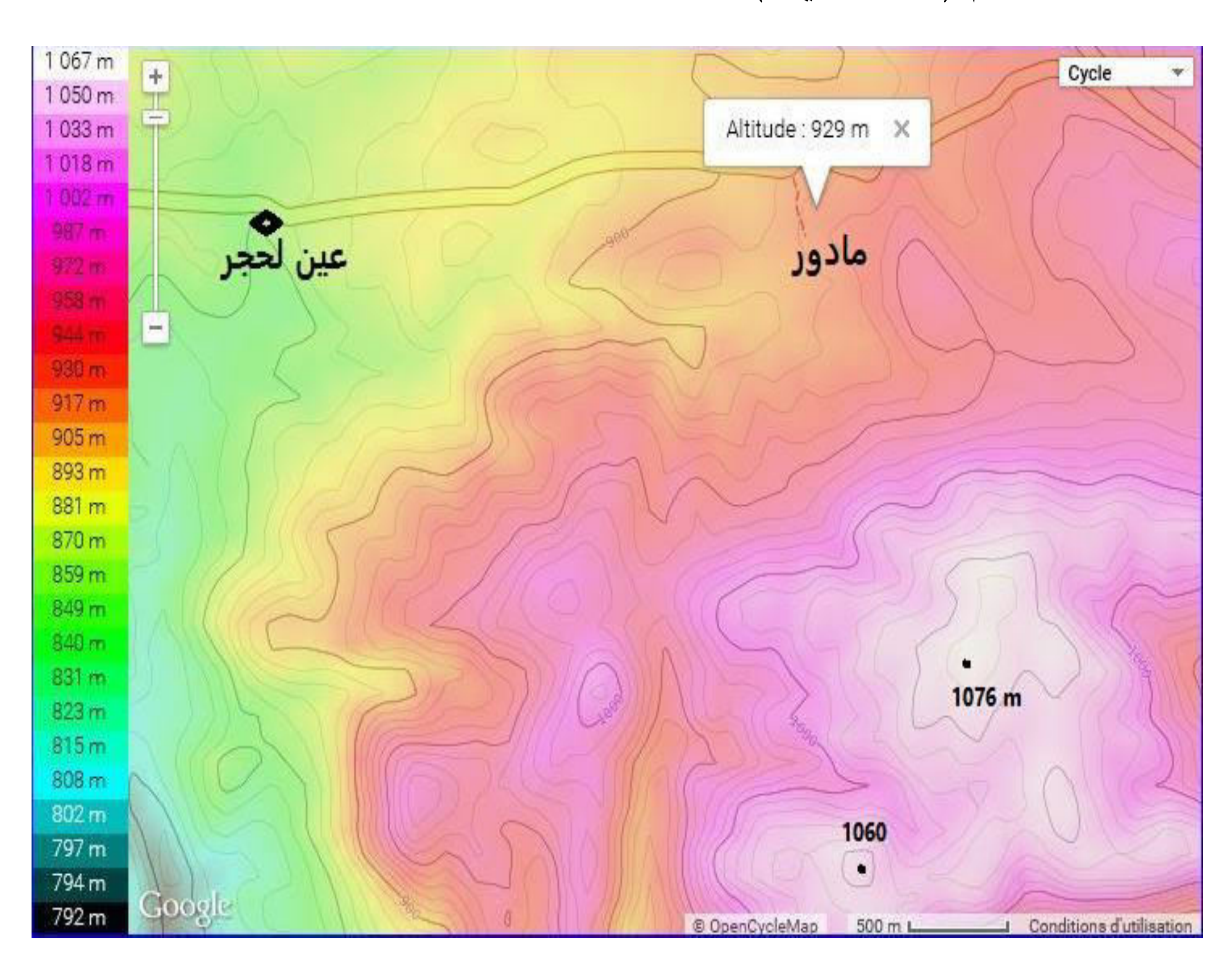
وفي الأخير خاتمة تقدمنا فيها بعرض بعض الاستنتاجات التي تحصلنا عليها خلال مراحل البحث والاجابة عن التساؤلات المطروحة .

1- الإطار الجغرافي:

أ- الموقع الجغرافي:

تقع المدينة الرومانية مادوروس على الطريق الرابط بين تبسة وسوق أهراس .

وحاليا تقع على بعد 7 كلم شرق مدينة مداوروش ، وجنوب شرق سوق أهراس بحوالي 45 كلم . كما تحدها من الشمال مدينة دريعة ادمولاس (ADMULAS) في الفترة الرومانية التي تبعد عنها بنحو أربعة كيلو مترات ونصف على علو يقدّر متوسطه بـ 929 م (أنظر الخريطة 01).



خريطة(01) طوبوغرافية لموقع مادور وضواحيه .عن google earth

أما من الناحية الشرقية فتحدها مدينة تاورة – تاقورا في الفترة الرومانية – والتي تبعد عنها بحوالي 16 كلم بينما تحدها من الجنوب سلسلة جبلية قليلة الارتفاع تمتد من الشرق نحو الغرب مكونة من عدة ارتفاعات وتوجد أعلى قمة بها على مستوى جبل الصنوبر 1129 م[1].

طبوغرافية المنطقة:

أما من الجانب الطبوغرافي فان أرضية المدينة تقع على مستوى سطح البحر ب 935 م[2].

فنجد البلدة تحتل موقعا استراتيجيا هاما بحيث يتيح للناظر مد النظر الى نقاط بعيدة عبر المناطق المحيطة وخاصة الواقعة في الجهتين الشمالية والغربية يتميز الموقع بطبيعة مفتوحة والتي نتجت عن التشكيلات الجيولوجية والتي تعود الى الفترة الايوسين Eocéne ذات الطبيعة الصلصالية التي تنتج عنها أرضيات ذات سطح متموج .(**انظر الخريطة02)**. وعليه نجد موقع البلدة ينحدر قليلا نحو الشمال الغربي وتوجد أعلى نقطة على مستوى الساحة العمومية اذ تصل الى 332 م كما نجده محاطا بعدة تلال وهضبات من أهمها ذراع الدواميس من الناحية الغربية وكدية الغيران من الناحية الجنوبية أما من الناحية الشرقية فنجد هضبة من الجنوب نحو الشمال شيدت في قسمها الشمالي في نهاية القرن التاسع عشر ضريح يعرف تحت تسمية سيدي محمد بني يحي حاليا، نجده محاطا بمقبرة مازال يستعملها سكان المنطقة في دفن موتاهم وباقرب من هذا الضريح باتجاه الشمال يوجد منبع يعرف بعين مداوروش. غير أن هذا الأخير كان يقع في الجهة المقابلة للطريق من الناحية الجنوبية وعند القيام بانجاز هذا الطريق العسكري حول الى المكان الحالي[3].

---

[1] - Gsell (st) et jolly (ch), khmissa, mdaurouch, Anouna, tomell: Mdaurouch, Alger 1922, p16.

[2] - Niel(o), Géographie de l'Algerie, Environs de Souk ahras, (2éd), ToME 1, BONE 1876 .p328

[3]- ايراهيم بورحلي، مستعمرة مادوروس واقليمها الترابي، أطروحة دكتوراة، معهد الاثار، جامعة الجزائر بوزريعة، 2009-2010 ،ص20.



الشكل 1:الخريطة الجغرافية للموقع الأثري مادورو س.

الخريطة(02)خريطة جغرافية للموقع الأثري مادوروس

ثانيا: الاطار التاريخي

1- أصل التسمية:

إن أصل تسمية مادوروس ومعناها بقيا مجهولين، فلا يوجد حقيقية معروفة حول أصل التسمية الفينيقة[4] ،رغم كثرة البحوث حولها الى غاية اليوم. الا أنها تعد من المدن الجديدة، التي شيدت في العهد الروماني والتي تعود الى القرن الأول ميلادي حسب الدلائل الأثرية، التي عثر عليها بالموقع كما ذكرت تحت تسمية مادوروس عند العالم الجغرافيا بطليموس Ptolémée [5]. وجاء ذكرها في اقرارات القديس أوغسطين تحت صيغة مادوريس، أما جوليوس هونوريوس فوصفها بمادوريس القلعة oppdiummadoruis، وأطلق اسم المستعمرة الرومانية الحديثة مع تغيير طفيف مداوروش نظرا لصعوبة لفظ مادوروس، وقبل أن تسمى هكذا كانت عبارة عن تجمع سكني، يعرف بعين سدرة. وتغيرت التسمية عندما أنشئت سلطات الاحتلال الفرنسي محطة القطار في منتصف القرن التاسع عشر. ومع توافد السواح والنزول في المحطة، فانهم يسألون الأهالي عن الموقع الأثري مادوروس، ومع مرور الوقت حرفت التسمية .

2- لمحة تاريخية عن ظروف النشأة:

ان اقليم مادوروس في الأساس هو تابع للملكة النوميدية قبل التواجد الروماني في شمال افريقيا،وتم انشاء هذه المدينة في اطار سياسة قانون التعمير للامبراطور أغسطس ، الذي كانت تهدف روما من خلاله الى التوسع في مختلف الأقطار، والتي أعطت مهمته في شمال افريقيا للفيلق الثالث الأغسطسي

4- Gsell(st) et jolly (ch), op-cit, p08.

5- ابراهيم بورحلي ، المرجع السابق. ص21.

الذي كلف بمهمة المسح واستصلاح الأراضي، بالاضافة الى شق الطرقات وبناء المدن ويبقى تاريخ تأسيسها مجهولا.

مرت على المدينة حضارات متعاقبة خلال فترات زمنية مختلفة منها الحضارة النوميدية ثم بعدها الحضارة الرومانية حسب ما قدمته البقايا الأثرية التي عثر عليها بالموقع. ثم تلتها الحضارة الوندالية التي لم تعمر بالمنطقة طويلا وأخيرا الحضارة البيزنطية.

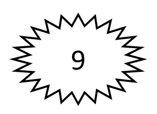
يرجع الباحثين نشأة المدينة الى نهاية القرن الأول ميلادي حسب الناقشة التي وجدت بالمدينة. والتي تعد من أهم وأقدم ناقشة بالموقع[6].

حسب GSELL ان APULLEE كتب عن الحضارة النوميدية ، التي كانت متواجدة بمادوروس منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت تابعة لمملكة صفاقص وبعد هزيمته أصبحت المنطقة تابعة لمملكة ماسينيسا مع أن الدراسات الأثرية لم تثيت وجود نوميدية بالمنطقة، كما لا توجد دلائل أثرية ما عدا قبور دولمان موجود بالهضبة جنوب المدينة وجزء من ناقشة ليبية، وكذلك المؤرخين القدامى لم يشيروا وجودها، ومن المرجح أنها كانت تابعة لقبائل المور [7] قبل انشائها كمستعمرة أما عن الحضارة الرومانية فقد عمرت من طرف المحاربين القدامى في القرن الأول ميلادي. حسب احدى الناقشات التي تحمل الكتابة التالية:

VETE RANORUM NOVO CONDUTU SPLERDISSMA SUMUS .

6- بورحلي ابراهيم، المرجع السابق، ص25.

7 -Gsell(st) et jolly(ch), Op-cit, p08.



الحضارة الوندالية التي نجهل أي معلومات حولها، كما لم يعثر على أي دليل أو عنصر مادي يدل عليها، لأنها لم تعمر طويلا، كما أنها استعملت واستغلت المنشات التي كانت موجودة ومستعملة من قبل السكان.

الحضارة البيزنطية والتي لم تعد امتدادا للحضارة الرومانية، الا أنه لم تعرف أي تفاصيل حولها لانعدام المصادر والكتابات حول هذه الفترة، التي يعتبرها الأثريين أهم عامل من عوامل تلف المواقع الأثرية، رغم الأهمية الحضارية والتاريخية لهذه الفترة لأنها كانت تبنى معالمها ومشاتها من أنقاض سبيقتها، والتي ما تزال القلعة البيزنطية[8]، التي أرخت لعهد الامبراطور جوستينيان بالقرن السادس ما بين 534 –536م وبعض المعالم الأخرى الى جانب البازيليكا .

3– الموقع عند اكتشافه:

وجد بالموقع عند اكتشافه معالم بارزة منها القلعة البيزنطية، والتي كانت شاهدا عظيما على قوة البيزنطيين والمسرح الذي بجنب القلعة، بالاضافة الى الضريح الروماني في الجهة الشمالية، وقوس عالي، وكذا قنطرتين كبيرتين والتي تكتشفان لنا وجود حمامات منها الكبيرة والصغيرة، كما دلت الحجارة المنحوتة المبعثرة على وجود بقايا مباني سكنية، وهذه الأخيرة كانت غامضة ماعدا الحمامات والقلعة .

4– أهم الحفريات التي أجريت في الموقع:

شهد الموقع اهتماما من قبل السلطات الفرنسية والباحثين الأثريين والتارخيين، خاصة بعد عملية الرفع الأثري للموقع سنة 1850 التي أنجزها القائد KARTH ALBERT وانطلاقا من هذه العملية شهد الموقع عدة حملات تنقيب، كما توالت عليه الحفريات حيث بذل الباحثون والأثريين بمختلف اختصاصاتهم جهودا كبيرة

[8] -Mahari(A), Etude de conversation de mise en valeur des sites archéologique de souk- Ahras, tome VI khmissa, Madaure, Tifech et Taoura, Alger, p165 .

منذ سنة 1843 الى غاية نهاية القرن 19م، فعملوا على حماية المواقع ونقل ودراسة ثروتها المنقولة والعقارية وعلى الخصوص الناقشات والأنصاب بمختلف أنواعها سواء التي وجدت على المعالم العامة أو المقابر.

جمعت هذه الملحقات من طرف Héron villefosse في سنة 1873، ثم تلاه William Godard سنة 1875[9]، لتتوج بأعمال المؤرخ والباحث الأثري Gsell سنة 1891.

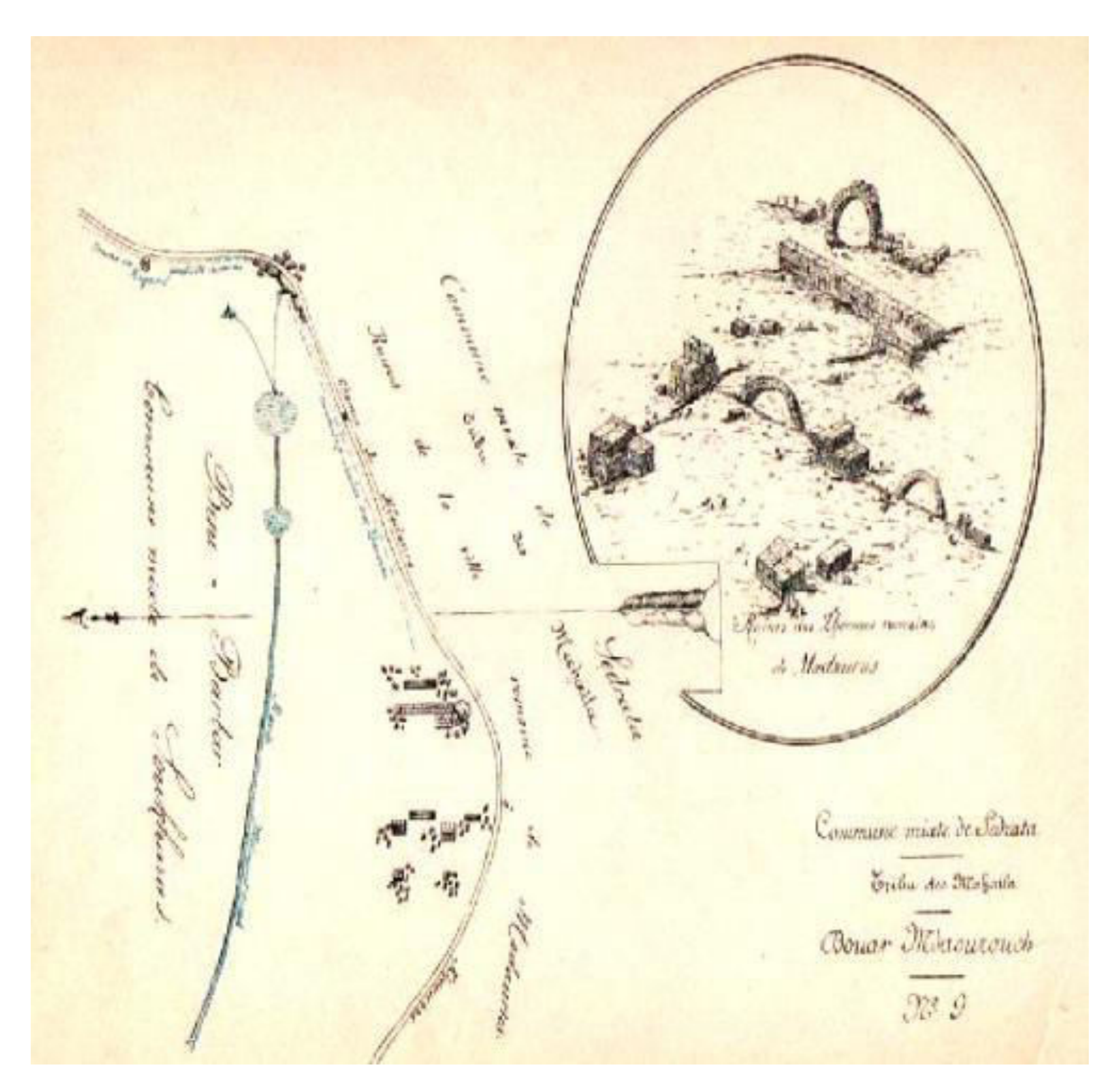
كما نجد أن الأعمال التي قام بها مختلف الباحثين منشورة في دوريات وكتب ومجالات ويمكن في هذا المجال تقسيم الحفريات الى أربعة حملات حسب الخصوصيات والمراحل التي مرت بها، كالاتي:

الحملة الأولى:

بدأت سنة 1843 وانصبت على نقاط متفرقة داخل المدينة، وشهدت عملية جمع اللقي ودراستها، بالاضافة الى أشغال الحفريات على المعالم الواضحة ومحيطها ثم سنة 1866 نشر مخططات من طرف الباحث Chabassiére، تخص الحمامات في الجهة الشمالية بجانب الكاردو. وعلى الضريح الروماني في الجهة الجنوبية الغربية، كذلك في الجهة الشمالية الشرقية على القلعة[10]، بالاضافة الى أعمال الباحث DIEHL، الذي اهتم بدراسة الفترة البيزنطية في شمال افريقيا.والذي قام سنة 1892 بدراسة القلعة البيزنطية ورسم مخطط لها.

[9] -GODARD(W) ,Inscription de M'daourouch,revue archéologique 1857,P 131-140.

[10] -CHABASSIERE,Recherche aThubursicumNumidarum,Madauri et Tipasa,Recueil des notices et mémoire de la Société Archéologique de constantine, 1866, p116 .



مخطط الموقع الأثري قبل الحفريات أنجز من طرف شاباسيار

الحملة الثانية من 1905 الى غاية 1921:

كشفت هذه الحملة على العديد من المعالم الهامة في المدينة، وسمحت بالتعرف عليها، والمتمثلة في الحمامات الصغرى والكبرى والساحة العامة الى جانب الكابتول وقوس النصر، بالإضافة إلى الضريح والقلعة البيزنطية كما سمحت بالكشف على العديد من الناقشات أيضا[11]، كما تم في شمال المدينة الكشف عن

[11] -BALLU,M'daourouch,Bulletin archéologique du comité des travaux historique et scientifiques,Paris 1912,P475-476.

وجود الكاردو قرب الحمامات على الجهة اليسرى، الديكامانوس وبالقرب منه الساحة العامة والقلعة البيزنطية وكذا المسرح، واكتشفت البازيليكا في الشمال الشرقي خارج المدينة. والعديد من المنازل في الجهة الشمالية الغربية.

تعد الحملة الثانية للحفريات بموقع مادور أهم مرحلة في تاريخ البحث الأثري حول المدينة. حيث تم الكشف عن أهم المعالم ودراستها، كما تم خلال هذه المرحلة نشر عدة أعمال حول المدينة مع رسم عدة مخططات سواء بالنسبة للمدينة أو بعض معالمها.

الحملة الثالثة من 1923 الى 1943:

خلال هذه الفترة شهد الموقع اعادة انطلاق أشغال الحفريات من جديد. والتي اكتشفت فيه البازيليكا المتواجد شرق الشارع الصاعد. وعرفت هذه الفترة تقدم أشغال التنقيب وتركز اهتمام CHRISTOLLE على معاصر الزيتون مما ساعده في التعرف على أجزائها واعادة تصورها وتركيب بعضها[12]. كما شهدت هذه الفترة أشغال تنظيف وصيانة المعالم الأثرية التي كشفت عنها الحفريات المتوالية وعثر خلال هذه الأشغال المقامة بالقرب من القلعة، على الممر السري للقلعة البيزنطية في الجهة الجنوبية الشرقية للشارع الصاعد. وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية تعرض الموقع لخراب كبير نتيجة الدمار.

الحملة الرابعة ما بعد 1962:

وهي التي تمتد من بعد الاستقلال الى يومنا هذا شهدت ركودا في البحث واقتصرت على الأبحاث النظرية. التي يقوم بها بعض الطلبة والأساتذة لدراسة إشكاليات لإعداد مذكرات أكاديمية. وذلك من خلال معالم الموقع فلم يعرف

[12] -BALLU,Rapport de Fouilles de 1924,BCTH 1925,p25-27.

الموقع حفريات مبرمجة للكشف عن باقي أجزاء المدينة ومعالمها التي لاتزال مطمورة تحت الأرض.



الشكل رقم -3- المخطط العام لمدينة مادوروس و توزع معالمها المعمارية
بالتصرف-- planche XV I Gsell, St, M'daourouche, 1922

المخطط العام لمدينة مادوروس وتوزيع معالمها المعمارية

1- انتشار المسيحية في شمال إفريقيا

ان تاريخ انتشار المسيحية في أوساط المجتمع في المقاطعة النوميدية وفي افريقيا ككل يبقى غامضا إلا أن أغلب الآثار سواء المكتوبة أو المادية تشير إلى نهاية القرن 3 وبداية 4 م، وعند تتبع إنتشار الدين المسيحي في أرجاء الإمبراطورية نجده على 3 مراحل : - المرحلة الأولى : تم الإنتشار في المدن الساحلية ثم إنتقل في المرحلة الثانية إلى المدن الداخلية أما المرحلة الأخيرة فكان في الأرياف، وعلى الأرجح فإن هذا الدين إنتقل إلى المدن الساحلية الكبرى كقرطاجة، وحضرموت (سوسة حاليا) لمكانة هاتين المدينتين عند التجار والبحارة القادمين من مختلف أنحاء الإمبراطورية ولكونهما مركزا للتجارة.

إن إنتشار الدين المسيحي في إفريقية ظل غامضا لإتسامه بالصمت منذ ظهوره في فلسطين حيث يعزى هذا الصمت حسب مؤرخي المسيحية في إفريفية إلى إنتهاج معتنقوا المسيحية السرية التامة لإتقاء شر الإضطهاد من طرف السلطات الإمبراطورية الرومانية، وهناك من يرى أن إنتقال بذور المسيحية الأولى في إفريقيا بفضل تنقل الرسول (الحواري) *مرقس مع مجموعة من تلامذته حيث تركهم ينشرون تعاليم المسيح في أوساط المدن. (1)

ومن المرجح أن العقيدة المسيحية بدأت تنتشر في ضواحي وأرياف المقاطعة خلال القرن3 م ومنه يرجح معظم الباحثين أن إنتشار المسيحية في المنطقة يمكن حصرها في الوضعية الإقتصادية والإجتماعية المزرية التي مرت بها وكانت ضحيتها الطبقة

[1] - عزت زكي حامد قادوس، محمد عبد الفتاح السيد: الآثار القبطية والبيزنطية، الاسكندرية، 2004، ص 04

الكادحة من جهة وفي الفراغ الروحي الذي حاولت السلطة الامبراطورية ملؤه بعبادة الإمبراطور من جهة أخرى.

تميزت الإضطهادات الإمبراطورية بلونين في إفريقية ضد المسيحيين: اللون الأول المتمثل في الإضطهاد الذي مارسته السلطة الإمبراطورية الوثنية، واللون الثاني المتمثل بدوره في الإضطهاد الذي مارسته السلطة الإمبراطورية المسيحية على المنشقين الذين أصبحوا هراطقة.

اشتدت الإضطهادات في بداية القرن4 م وخاصة في فترة الإضطهادات الكبرى لسنوات 303/ 305 م في المقاطعات الإفريقية لإمتناع جماعة من المسيحيين تسليم الكتب والرسائل المقدسة حيث أمر الإمبراطور ديوقليانوس بتتبع كل رجل دين وتجريده من كل الوثائق المقدسة وحرقها وتهديم المباني الدينية، كما حدث في كيرتا حيث تم حرق الكتب المقدسة والزخرفة المقدسة فيها، والتهديد بالموت في حالة رفض تقديم الأضحيات إلى الآلهة الإمبراطورية كبرهان لولائهم المطلق للإمبراطور والإمبراطورية وحتى إضطهاد كل من يدعي أنه مسيحي.

في هذه الفترة كانت المسيحية منقسمة إلى حزبين : حزب يناشد الولاء للإمبراطور الشرعي قسطنطينيوس والذي كان يتمركز في المدن الكبرى الإدارية الساحلية منها كقرطاجة والداخلية ككيرتا، وحزب مناصر للإمبراطور المتسلط على سلطة ماكسينتيوس والذي يشمل النوميديين وسكان الأرياف وبصفة عامة والتي أصبحت من أتباع الذوناتية، فأمر الإميراطور المتسلط حسب جل الباحثين إنتقاما له لقسطنطينيوس بتهجير وتهديم بعض المناطق الغنية بالأراضي الزراعية في إفريقية ومن بينها مدينة كيرتا إن لم نقل كلها والتي أعاد بنائها الإمبراطور قسطنطينيوس وأطلق عليها إسم قسنطينة بعد انتصاره عليه .

تغلب قسطنطينيوس على ماكسينتوس وأصبح الإمبراطور الوحيد في الغرب وأعلن مرسوم ميلانو سنة 313 م، وبالتالي إنتهى عصر الإضطهاد وأعلن المسيحية دين الدولة سنة325 م .[2]

في عصر قسطنطينيوس (323–337 م) تم السماح للمسيحيين بإقامة شعائرهم الدينية بما يسمى عصر السلام الديني.

إن الحدث الذي ميز المنطقة عن غيرها من المناطق الأخرى للإمبراطورية هو ظهور صراع بين التيار الدوناتي وليد مقاطعة نوميديا والتيار الكاثوليكي المتواطئ مع السلطة الإمبراطورية الذي تسببت فيه الإضطهادات الأخيرة لدوليقيانوس، وقد أدت هذه الإضطهادات إلى إرتداد عدد كبير من المسيحيين وعلى الخصوص، ضعفت همة كثير من رجال الدين أمام التهديد حتى أنهم سلموا نسخ الكتاب المقدس إلى السلطات الرسمية المنفذة للإضطهاد فكانوا من المتخاذلين وبالتالي سموا بذلك تراديتوراس، في حين صمد عدد كبير من المسيحيين من أجل المسيح في وجه الإضطهاد فأودعوا في السجون وأعدم البعض منهم وسموا بالمقرون وبالتالي رفض المقرون بعقيدتهم التعامل مع المتخاذلين بأي شكل من الأشكال بعد إنتهاءالإضطهاد سنة 305 م، وهذا الرفض ورثه أبناء المقرون بعقيدتهم الذين أصبحوا دوناتيين الذين رفضوا بذورهم التعامل مع أبناء المتخاذلين الذين أصبحوا كاثوليكيين، فكان الدوناتيين فيما بعد أنهم خلف الشهداء وكنيسة القديسين الصامدين وأن خصومهم أبناء المتخاذلين .

---

[2] – شنيتي محمد البشير: التغييرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني، الجزائر، 1984، ص 267 .

ظهر هذا الإنشقاق جليا، مطران، قرطاجة، منسوريوس وعين مكانه شماسه كائيكليانوسcaecilianus الذي كان يخدم بجانبه بيد أن هذا التعيين تم بدون حضور كبير أساقفة نوميديا، مما أعتبر من طرف النوميديين فرقا للأعراف والتقاليد المعمول بها في إفريقية، فما كان على جثيلقنوميدياسكونديسنوسsecundinus إلى أن شد رحاله إلى عاصمة الأسقفية للطعن والإحتجاج على الخرق للتقاليد الكنسية، حينها عينوا *أسقفا منافسا لكائيكيليانوس هو مايورينوس الذي لم يشغل هذا المنصب إلا قليلا، ثم خلفه دوناتوس، وتجسدها هذا الإنشقاق في الكنيسة الإفريقية ومنه نتجت لنا كنيستين وهما: الكنيسة الكاثوليكية برئاسة كائيكيليانوس والكنيسة الدوناتية بزعامة دوناتوس .

غالبا ما كانت الصراعات قوية بين التيار الدوناتي والكاثوليكي خلال القرن4 م في مقاطعة نوميديا والتي تعتبر بحق معقلا للدوناتيين لأن لها جذورا تاريخية، ونظرا لحدة الصراع بين الطرفين الذي مزق الكنيسة الإفريقية رأى الإمبراطور هونوريوس أن يصدر مرسوما سنة 410 م يدعوا فيه للتسامح مع المنشقين سنة فيما بعد أبطل سريان مفعول هذا المرسوم تحت إلحاح الأساقفة الكاثوليك خوفا منهم أن يستعيد الدوناتيين قوتهم وينافسوهم في المجال الديني، فأمر الإمبراطور بعقد إجتماع كنسي سنة 411 م لفض هذا الجدال في قرطاجة بإدارة الوكيل ماركيلينوس بصفته مفتش إمبراطوري commissaire impéria وبعد النقاش الحاد والعنيف بين الطرفين حكم ماركيلينوس على المذهب الدوناتي بالهرطقة ويجب إدانته، في سنة 412 م استخلص الإمبراطور الخلاصة وأمر المنشقين والهراطقة (الدوناتيينوالبلاجيين وحتى الوثنيين) للدخول إلى الكنيسة الكاثوليكية وإلا تصادر أملاكهم ويعاقبون بالتعذيب والموت أو النفي.

ومنه صودرت البازيليكات المسيحية الدوناتية لصالح أعدائهم الكاثوليك وأدى هذا القمع القانوني والعنف في تطبيق القانون الصادر عن الإمبراطور إلى فرض فترة هدوء وسلم ديني مؤقت دامت حوالي عشر سنوات وهذا راجع لدخول عدد كبير من الدوناتيين إلى الكاثوليكية بالقوة، ولكن هذا السكون لم يدم طويلا لثوران الأفارقة نظرا للحالة الإقتصاديةوالإجتماعية المزرية المعاشة من طرفهم ضد السلطة الإمبراطورية والكنيسة الرسمية والطبقة البرجوازية . [3]

تحول الصراع الديني الدوناتي إلى سياسي وأرادو بعد أن حاربهم قسطنطينيوس وخلفاؤهم من بعده الإنفصال عن باقي الإمبراطورية، وامتد الصراع الديني ليتحول إلى صراع سياسي لمحاولة الحصول على إستقلال سياسي.

في الفترة الوندالية بعد إحتلال عنابة من طرف الوندال واتخاذهم لها كعاصمة ونوميديا كمقاطعة تحولوا إلى قرطاجة في سنة 439 م وأصبحت كعاصمة لهم وبالتالي احتلال كل اقليمها وصولا إلى الحدود الشرقية لنوميديا أما ما تبقى من نوميدياوالموريطانيات أصبح تابعا للإمبراطورية.

إستطاعت الادارة الإمبراطورية الغربية بقيادة الإمبراطور فالنتيانوس الثالث أن تعيد تنظيم ما أعيد لها من مقاطعات و هي موريطانيا القيصرية والسطيفيةونوميديا ووضع على رأس كل مقاطعة حاكم(consulaire).[4]

بعد موت الإمبراطور فالنسيانوس الثالث سنة 455 م هجم جنسريك على روما ونهبها واستولى على كل الجزر الكبيرة في الحوض الغربي المتوسط (سردينيا، كورسيكا، صقلية) حيث قام بتعيين أسقف أريوسي بقوة في تيبازة لنشر تياره في

[3] - عزت زكي حامد قادوس: مرجع سابق، ص 12 .
[4] - حاجي ياسين رابح: البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في تخصص آثار قديمة، 2009/2008، جامعة الجزائر، ص 35 . 36

المنطقة، والغرض من هذا التعيين لقطع الطريق على الأساقفة الكاثوليك، وفي هذه السنوات كان المذهب الأريوسي أشد وطأة بالتيار الكاثوليكي لأنه في نظره تيار السلطة الإمبراطورية العدوة، حيث وصلت الإضطهاداتالونداليةألى ذروتها ضد الكاثوليك.

وفي فترة حكم الملك جنسريك (477/428 م) كل البازيليكات المسيحية هدمت ماعدا تلك لكيرتاوهيبون وقرطاجة وانتهكوا حرمة البازيليكات المسيحية وبازيليكة القديسين، وحرقوا أماكن الصلاة بحرائق مهولة.

قام الملك الونداليبإضطهاد الكاثوليك وفرض عليهم المذهب الأريوسي وصادر ممتلكاتهم لأن جنسريك كان ينظر إلى المذهب الأريوسي على أنه هو الأداة لإنسجام شعبه غير دونه لهذا شل من حركة الكاثوليك التي كانت تشكل خطرا على الوجود الوندالي في المنطقة .

ما نتج عن هذه السياسة الدينية المنتهجة من طرف جنسريك هو تخريب وزعزعت الترتيب الإداري للكاثوليكية من ناحية الهيكلة و ذلك بحرمانها من إطارها الديني .

وفي عهد هونوريك (484/477 م) تميز حكمه بشدة الإضطهادات على الكاثوليك خاصة وأنه أراد ادخالهم إلى مذهبه الأريوسي وصدهم عن الكاثوليكية بدأت الإضطهادات في وقته سنة 484 م والذي يقاومه يسلب من ممتلكاته وينفى إلى صحاري افريقيا وبرز البحر الأبيض المتوسط، وقام بعقد إجتماع في قرطاجة بين الأريوسيينالوندال والكاثوليك الأفارقة الرومان من أجل الحفاظ على ديمومة دولته والقضاء على الإضطرابات وأراد الوصول إلى نتائج تخدم سياسته بدخول كل الكاثوليك إلى الأريوسية، وبعد نقاش حاد رفض الكاثوليك الرضوخ إلى غاية

هونوريك، أصدر بعد ذلك الملك مرسوما أدان فيه الكاثوليك وعاقبهم بنفس العقوبات التي شرعتها القسطنطينية ضد الهراطقة وكان التنفيذ صارما حيث عذبوا وصودرت ممتلكاتهم أساقفتهم وأوقفوا وعوملوا كعبيد في جزيرة كورسيكا، أما الذين بقوا في افريقيا تحولوا إلى المذهب الأريوسي . [5]

وفي فترة حكم تراساموند (523/496 م) إتبع سياسة إظهار التسامح إزاء الأساقفة وأتباع المذهب الكاثوليكي في السماح للأساقفة المنفيين والمسجونين بالرجوع إلى أماكن عملهم، وتم إعادة فتح الكنيسة الكاثوليكية بمبانيها الدينية وأصبح المذهب يمتهن بكل حرية، إلا أن تراساموندإهتم أيضا بالبحث عن المرتدين عن الأريوسية للحد من إعادة إنتشار الكاثوليكية في مملكته.

ومع مجيء موريكيوس، اتصفت فترته بالتسامح مع اليهود والدوناتيين فعرفت فترة هدوء، نشطت الدوناتية في ظل تسامح الإمبراطور واسترجعت وحافظت على ممتلكاتها العقارية وغير العقارية، وقد حاولت الدوناتية اطباق الخناق على الكاثوليكية، بالتأثير على الناس حتى في الأوساط الكاثوليكية وإدخالهم في تيارهم بإعادة تعميدهم حسب الطقس الدوناتي، فدخل العديد من الشخصيات المتنفذة في المنطقة وبالتالي دخول عدد لابأس به من أتباعهم .[6]

خلال ست سنوات كاملة من 591 إلى 596 م زادت قوة وحدة الدوناتيين إلى أن وصل الحال في إدانتها والحد من نفوذها في المجاميع الكنسية إلى أن وصل بالبابا قربقوريوس الأكبر أن يعين مفوض كنسيا يؤدي نفس الدور الذي يلعبه المفوض

5 – المرجع نفسه، ص 38 .

6 – المرجع نفسه، ص 37 .

الامبراطوري وهذا للحد حسب رأيه من نفوذ الدوناتية بمحاسبة أكليروسه الافريقي الكاثوليكي .

إن المسار التاريخي أو بالأحرى الحتمية التاريخية لإفريقيا أضفت عليها أحداثا خاصة بها كالإنقطاع التاريخي والحضاري الذي لحق بها في ظل الإحتلالالوندالي بالرغم من الأبحاث الحديثة التي تدل على أنها كانت تتمتع ببحبوحة إقتصادية وسياسية مقارنة بما وصف في المصادر التاريخية المعاصرة، وهذا الانقطاع من شأنه أن يساعد في تكوين شخصية يحسب لها ألف حساب للكنيسة الأفريقية في الأحداث المسيحية التي تدور في الامبراطورية .

من هذا العرض التاريخي، نرى أن مقاطعة نوميديا المسيحية خاصة وافريقيا عامة أدت دورا كبيرا في تسطير الخطوط العريضة التاريخية من أحداث دينية التي تأثرت لها الإمبراطورية والتي كانت محل إهتمام جل الأباطرة، وتأثرت كذلك الخريطة الدينية للتيارات المتنافسة ممثلة في مجموعة أدلة أثرية نجدها اليوم مترامية الأطراف في المقاطعة المتمثلة خاصة في البازيليكات وملحقاتها العقارية وغير العقارية. (7)

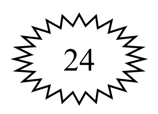
7 – المرجع نفسه، ص 45

البازيليكاالمسيحية

كما هو معروف فإن المسيحية منذ ظهورها لم تكن ديانة مرحبا بها نظرا لوجود الديانة الوثنية ، ففي بداية الأمر كان يجتمع المتدينون في قاعة بسيطة كانت تعرف بسيلا(cella)، وهي عبارة عن منزل أو مسكن المجتمع المسيحي، أي أنه كان مكان سكن للأسقف وأتباعه، وكان قريب من مركز المدينة وكانت تقام فيه اجتماعات المسيحيين وفيما بعد تحولت إلى وظيفة دينية ولذلك وبمرر الوقت وعندما وصلت المسيحية إلى مرحلة الإعلان فقد عمل المتدينون المسيحيون على تشييد معالم ومباني واعتمدوا على مخطط البازيليكا القضائية، بالإعتماد على طول الرواق الذي ينتهي بحنية التي تقع في الجزء الشرقي من الكنيسة حيث يوجد المنبر والمذبح.

كان البعضمن الباحثين، يرى ان البازيليكا المسيحية اشتق مخططها من البازيليكات الرومانية المدنية او بما تسمى ببازيليكاي فورانسس (basilicae forenses)، والمقتبسة بدورها من مخطط البازيليكات الهلينية (اليونانية) لصالح العمارة المسيحية وما تحتويه من مميزات خاصة بالفضاء والتوزيع سواء الداخلي ام الخارجي، وكذلك تمَّ اقتباس بعض العناصر الشرقية كارتفاع المبنى في الجناح الاوسط (او الوسطي) للسماح للضوء بالدخول والمرور لاضاءة المبنى، وكما ذكر الباحث لورو، ان اول استعمال للبازيليكا المدنية كمبنى ديني تمَّ من طرف الوثنيين للقيام بشعائرهم وطقوسهم، بعد ذلك قام المسيحيون باعادة استعمال المبنى لاغراضهم الدينية واستمر استغلال هذا المبنى دينيا، بتعديله وأقلمته بما يتماشى مع الدين الجديد.

إن مخطط البازيليكا المسيحية النموذجي مقسم إلى ثلاثة أقسام أساسية، وهي:



أولاً الاتريوم، ثم ثانياً حيز العبادة (كوادراتومبوبولي)، وأخيراً ثالثاً الملحقات المتصلة بالبازيليكا من خلال مداخل ثانوية تؤدي إلى داخل أو إلى خارج المبنى –أي البازيليكا– تفتح في جدرانها حسب المخطط. وهذه الأخيرة –أي الأقسام– مقسمة بدورها إلى أجزاء صغيرة، سوف نتطرق إليها في هذا العرض.

أولا قسم الاتريوم: يتم الولوج إلى داخل المبنى عبر ساحة مفتوحة تسمى بالأتريوم (Atrium) وعادة ما يكون مزود بحوض للتعميد، يحيط به رواق مغطى أو بكل بساطة عن طريق مجاز أمامي مقبى يسمى بالنارثكس (Narthex) ومنه إلى الداخل.[8]

ثانيا قسم حيز العبادة: يتميزبمخطط استيطالي متطاول والمقسم إلى ثلاثة أجنحة أو أكثر حسب مساحة البناية تفصلها صفين أو أكثر من الأعمدة. الجناح الأوسط أعلى وأوسع من الجناحين الجانبين. في الجهة المقابلة من المدخل الرئيس للواجهة الغربية نجد حنية نصف دائرية مزودة بكاتدرا (cathedra) (أو بما يسمى كرسي الأسقف) يجلس بين يديه الرهبان، كما جلس السيد المسيح مع حوارييه من حوله على مائدة العشاء الأخير، يتقدم الحنية المذبح المغطى بظلة أو بما يسمى بالكيبوريوم (Ciborium) عادة، على جانبي الحنية –المتجهة غالبا نحو الشرق– توجد الغرف الخدمية (sacristies) وعادة اثنتان الخاصة برجال الدين وكانت مخصصة للهدايا والأعطيات والهبات. والكل يتقدمه الخورس (Chorus).

ثالثا قسم الملحقات المتصلة بالبازيليكا: من بينها حوض التعميد فمكانه مختلف من بازيليكا إلى أخرى، فتارة يوجد على يسار الحنية في الغرفة الخدمية أو على يسار البازيليكا أو في الاتريوم. من المحتمل أن يكونللبازيليكا وذلك حسب الحاجة

---

8 – حاجي ياسين : مرجع سابق، ص 4. 7

أو لكبر أبعادها منصة توضع في الطابق العلوي ويتم الصعود إليها من خلال سلالم حجرية تبنى على احد طرفي النارثكس أو بمجانبتها -أي السلالم- لأحد الجدران للأجنحة الجانبية .

وهناك العديد من العناصر المعمارية التي تميز البازيليكا المسيحية مند ظهورها، وهي تتمثل فيما يلي :

1-الأبواب : فهي تتكون من عدة أبواب ومداخل مختلفة منها الباب الرئيسي وهذا الباب له رسومات وزخارف تزيينية تذكر بالحياة الدنيوية، بالإضافة إلى وجود أبواب أخرى جانبية ثانوية حيث تكون عموما على الجانبين الأيسر والأيمن للباب الرئيسي

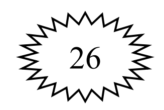
2-الباحة : وهو عبارة عن فناء يكون محاط بأروقة معمدة من كل الجهات يلي المدخل الرئيسي للكنيسة مباشرة، والذي يكون ملجأ للفقراء لطلب الصدقات، وهو المكان الذي ينتظر فيه المتعبدون المسيحيون حلول وقت الصلاة .

3-الأروقة : عبارة عن فناء مقسم بأعمدة إلى رواق رئيسي ورواقين جانبيين والذي يتراوح عددها من ثلاثة إلى خمسة أروقة كما يمكن أن تكون لعزل النساء عن الرجال

4-الجوق : يخصص للفرقة الموسيقية والذي يتواجد في مكان المذبح .

5-المذبح : يوجد في وسط الكنيسة له طاولة تكون أحيانا مصنوعة من الحجر وفي بعض الأحيان من مادة الرخام، ترفع بواسطة أربعة أعمدة صغيرة من الرخام والتي تكون مرفقة بطاولتين على جانبيها والتي تستعمل لوضع القربان

6-الحنية : وهي لا تقل أهمية عم ما سبق ذكره وهي تتواجد في نهاية البازيليكا لها شكل نصف دائري وجد على محور الرواق المركزي، للحنية كرسي من الرخام أو الخشب في وسطها (stall)، وهو خاص بأسقفية الكنيسة .



7-المراهف : يتم الوصول إليها عن طريق على جانبي الحنية، وهو عبارة عن غرفتين جانبيتين للحنية، فالأولى تكون على الجانب الأيمن للحنية وتسمى (vestiarium) وتستعمل لوضع الملابس الخاصة بالأسقف وأغراضه الشخصية، والغرفة الثانية تكون على الجانب الأيسر للحنية وتسمى (evanglium) وهي تحتوي على الوثائق الرسمية والكتب القديمة. (9)

9 - المرجع نفسه، ص 21 .22

3- تعريف الطريق الصاعد :

ويصنف من ضمن الشوارع الكبيرة ويعرف بالشارع الصاعد لكونه ينطلق من الجهة المنخفضة للموقع الأثري ليتجه نحو الجهة المرتفعة الواقعة جنوبا، ونجده يمتد من الشمال نحو الجنوب، ويبلغ طوله حوالي 400م أما عرضه فهو متفاوت إذ يبلغ 5.80م عند الحمامات الكبرى الشمالية و8.50م بالقرب من البوابة الشرقية ويصل إلى 7.10م على مستوى تقاطعه مع الشارع الثاني الجديد.

يتميز هذا الشارع بعدة انحرافات وانكسارات على طول امتداده نتيجة إقامة جدران بعض المباني على طرفيه دون مراعاة صرامة مبادئ العمارة الرومانية.



الشارع الصاعد

ويبدو أنه شيد من دون أية أروقة ، كما لم نلاحظ على طول امتداده أي أثر لأرصفة وجاءت أرضيته مبلطة بقطع كلسية وضعت عرضيا، بينما بالقرب من تقاطعه مع الشارع الكبير الثاني وضعت ثلاث بلاطات بالطريقة العرضية وحز سطحها بواسطة تجاويف حفيفة لتفادي انزلاق المارة,

شيدت على طول حافته الشرقية ثلاث نافورات، احداها تقع بالقرب من الحمامات الكبرى بينما شيدت الثانية قبالة البوابة الشرقية والثالثة بالقرب من الشارع الفرعي المار شمال الحمامات الجنوبية.

تجري تحت هذا الشارع ، قناة ناقلة حاملة المياه في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبا، وتظهر على أرضيته فتحات التهوية والتنظيف.



تمثل تجاويف لتفادي انزلاق المارة

1-وصف عام

في الزمن البعيد وفي جميع الأديان نجد جماعات يكررون كثيرا تراتيل الصلوات ودائما ما يقودهم رجل يعضهم ويعلمهم أن الصلاة مهمة و تزيد من سلطة التفكير و التركيز كما جاءت التعليمات المسيحية لتعطي الأسباب والتوجيهات هذه االديانة المؤمنة للقلوب .

و بالنسبة لمدينة مداوروش وفي الطريق الصاعد بها، نجد هناك كنيستين الأولى تقع بالقرب من البوابة الشرقية وأطلق عليها تسمية الكنيسة المدنية والثانية الواقعة في الجنوب الشرقي للموقع.

أ- الكنيسة الشرقية

تقع جنوب منزل الحمامات الكبرى من الناحية الشرقية للموقع الأثري وكانت واجهتها مطلة على الشارع الصاعد. وقبل أن تتحول الى كنيسة تمثل البازيليكا الجديدة للبلدة التي شيدت في القرن الثالث الميلادي. يبلغ طولها 23م وعرضها 14م ، وتوجد في حالة حفظ سيئة اذ من الصعب تحديد مخططها الأصلي بسبب تراكم العناصر المعمارية المختلفة والتعديلات الكثيرة التي أدخلت عليها .

لم يعثر بداخلها على أثاث يدل على أنها أستعملت لغرض ديني، وكل ما يبين على ذلك هو المحراب وبقايا لصف أعمدة قسمت الفضاء إلى ثلاث أساكب ويرى N.DUVAL في الكنيسة أنها هيئت حسب مخطط مألوف لكنائس نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس ميلادي وأن الأحواض

الصغيرة التي وجدت على جانبي الأسكوبين ليست بحالة استثنائية وإنما وجدت في عدة كنائس.

تقنية البناء:

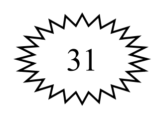
الكنيسة مشيدة بالتقنية الافريقية (opus africanum) وتتمثل هذه التقنية في بناء حجارة منحوتة كبيرة عموديا وأفقيا ثم يبني الفراغ الذي تتركه الحجارة المنحوتة الكبيرة فيما بينها بحجارة صغيرة غير منحوتة. معدل سمك هذه الجدران 0.50 م أما مقاسات الحجارة المنحوتة التي تم استعمالها فيترواح ما بين 0.50 م و0.60 م أما سمكها ما بين 0.50 م و 0.60 م أيضا . أما الحجارة الصغيرة التي يبنى بها جزء الجدار الواقع بين كل حجرتين منحوتتين وهي حجارة صغيرة غير منحوتة وليس لها شكل معين ويتم الربط بينها بمادة لاحمة جبسية .

واستعمل في تبليط الأرضية بلاطات حجرية مستطيلة الشكل بأبعاد غير متساوية بطريقة عمودية .

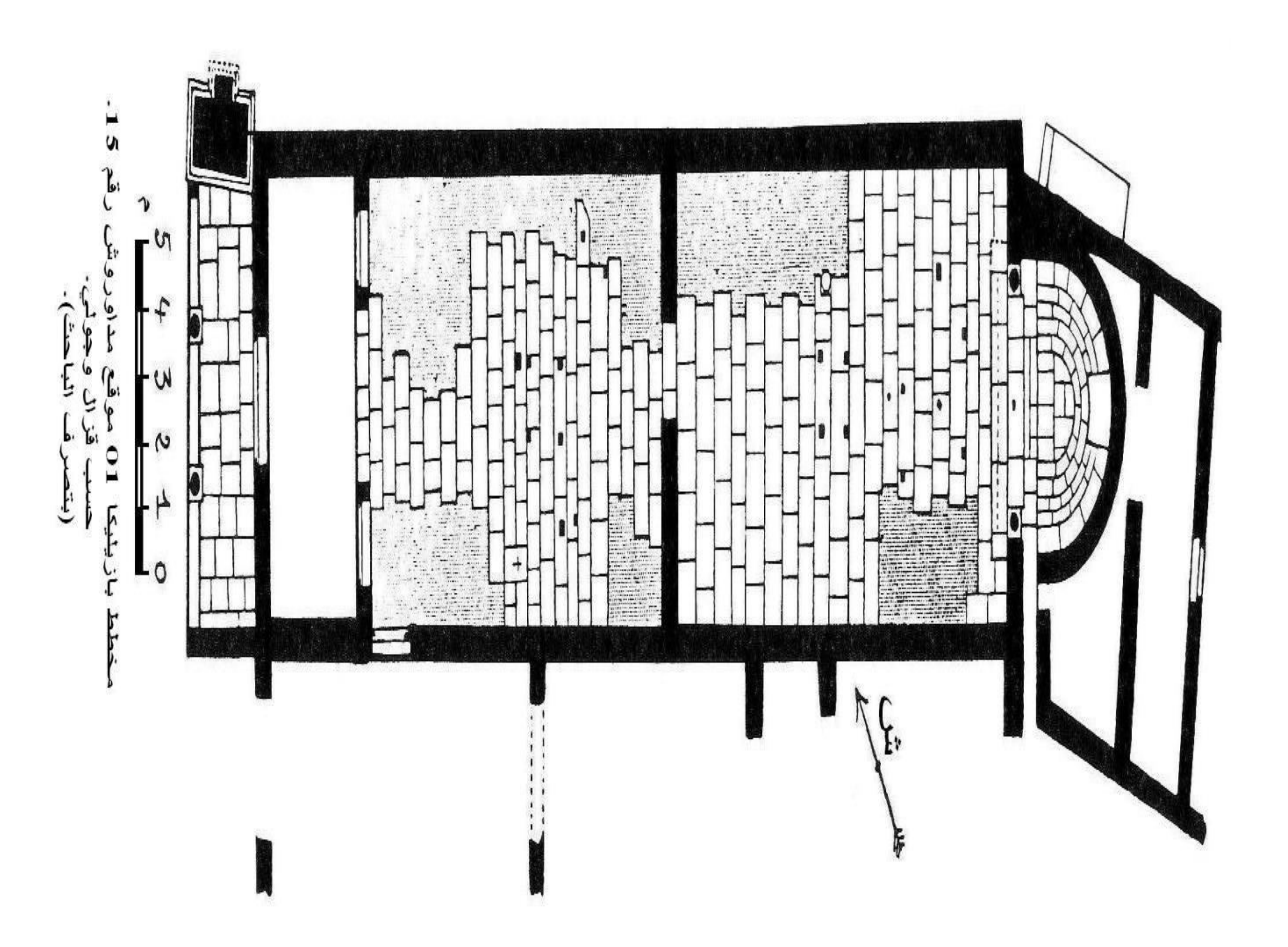
والمداخل يوجد مدخلين بأبعاد صغيرة ، المدخل الأيمن عرضه 1.27 م والأيسر عرضه 1.22 م . ويوجد مدخل آخر جانبي في الجدار الجنوبي الغربي عرضه 1.52 م في حيز العبادة .

الحنية:

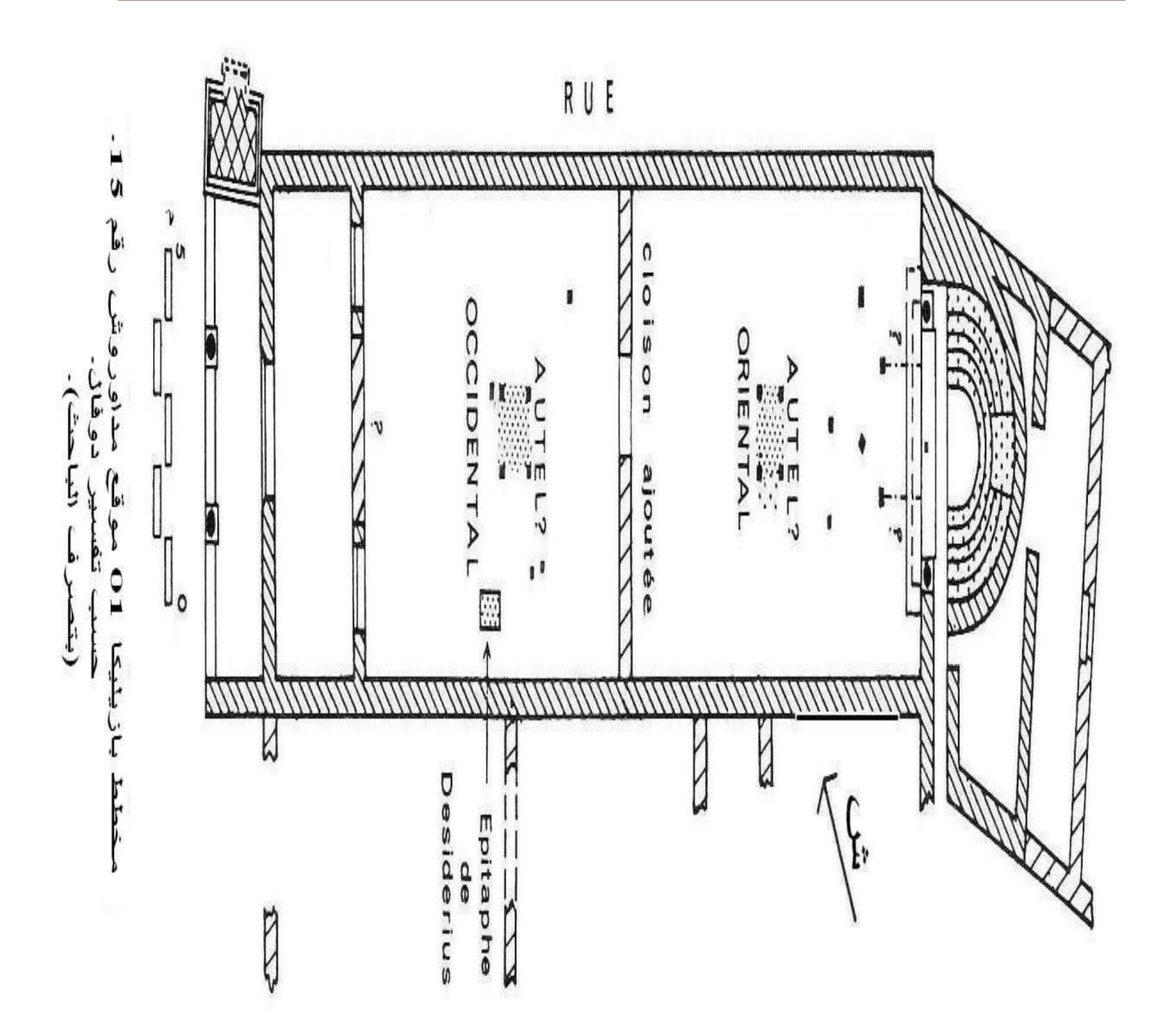
تأخذ شكل نصف دائرية بارزة في غرفة ذات مخطط شبه منحرف ، فتحتها 5.10م وعمقها 4.65 م . يحف الحنية عمودين أين وجدت قواعدها في أماكنها ، وعلى يمين الحنية يوجد ممر ضيق يؤدي إلى الخارج ويؤدي كذلك الى غرفة بعد الدخول من مدخلها والتي كانت على اتصال بغرفة أخرى التي تتصل بالخارج عبر مدخل .



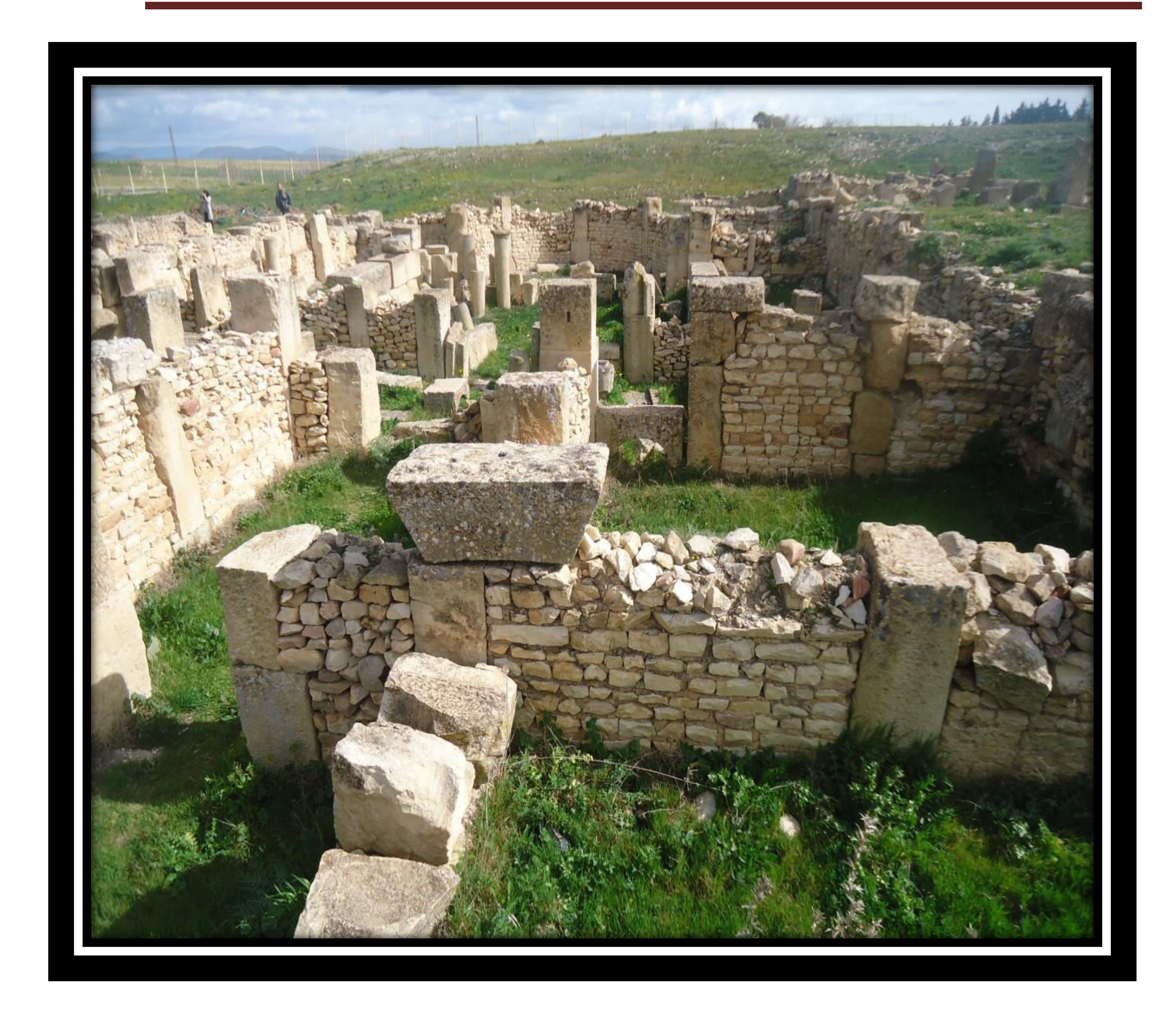
ولقد أرخت هذه الكنيسة إلى النصف الثاني للقرن الخامس ميلادي حسب قزال وجولي من خلال طرز تيجان الدعامات ومن خلال طرز الطغراتين وأعتقد أنها استغلت حتى القرن السابع ميلادي.



مخطط بازيليكا 01 موقع مداوروش رقم 15.
حسب قزال وجولي.
(بتصرف الباحث).



مخطط بازيليكا 01 موقع مداوروش رقم 15. حسب تفسير دوفال. (بتصرف الباحث).



الكنيسة الشرقية



حنية الكنيسة الشرقية

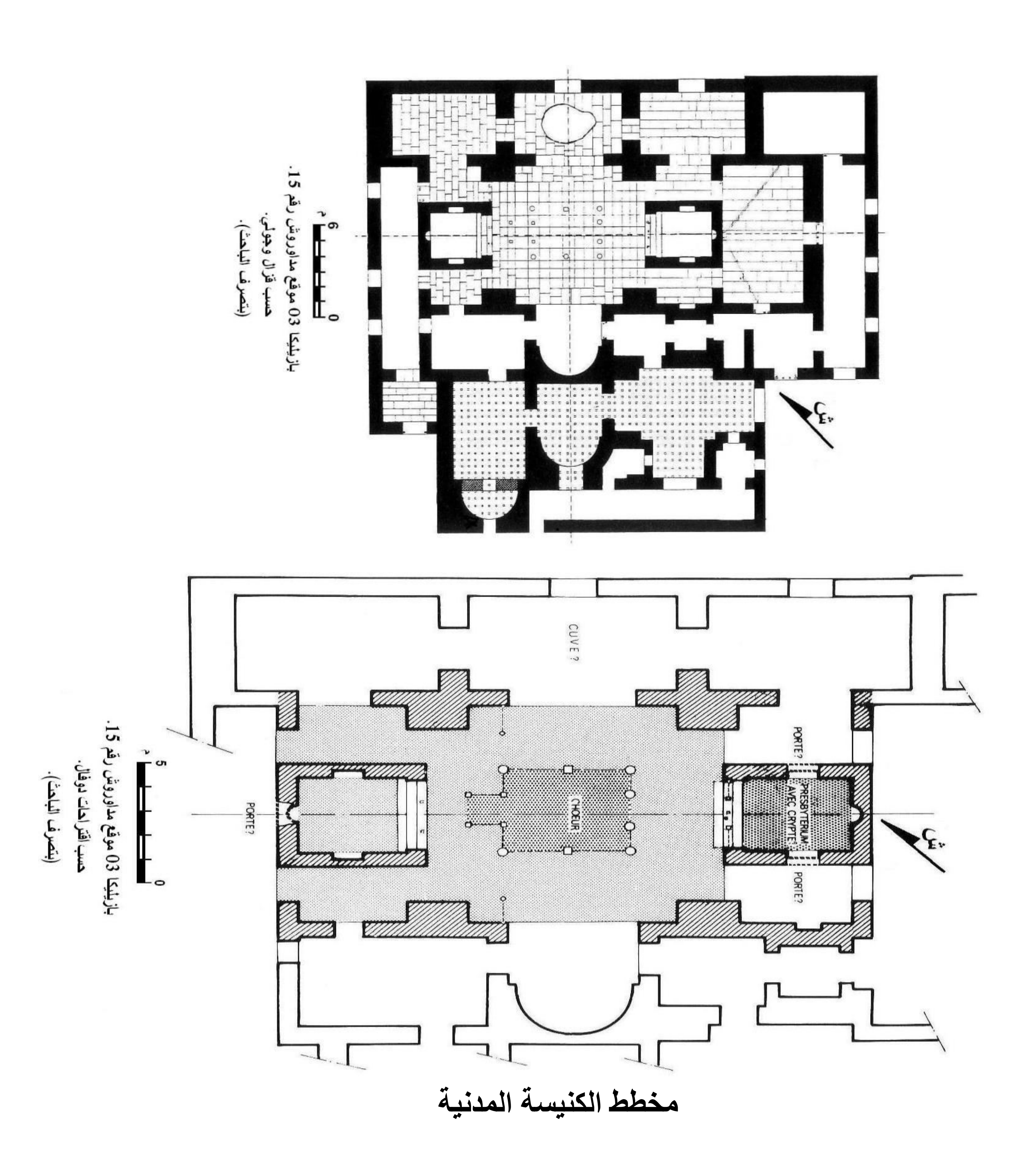


الكنيسة الشرقية

ب- **الكنيسة المدنية :**

تقع جنوب القائم الجنوبي للبوابة الشرقية وأقيم لها رواق أمامي على الجانب الجنوبي لمقطع الدكامانوس الشرقي، بينما شيد جدرانها الجانبي الجنوبي على امتداد الشارع الصاعد ، يبلغ طولها 34 م ويتراوح عرضها ما بين 7.80 م و 8.25 م .

كان مدخلها من الناحية الشمالية يبلغ عرضه 1.55م تتقدمه أرضية الرواق التي ما زالت محافظة على جزء من تبليطه وقاعدتين من النوع الاتيكي يبلغ ضلعها 0.60 م. منه تصل الى دهليز مستطيل الشكل غير مبلط يبلغ عرضه 3.30 م. يؤدي عبر فتحتين في زاويته عرضها حوالي 1.10 م.إلى أسكوب مكون من قسمين منفصلين عن بعضها البعض بواسطة جدار يبعد عم مدخلي دهليز بنحو 11م . وجدت على أرضيته التي احتفظت بجزء كبير من تبليطها عدة ثقب كانت مخصصة لاستقبال القوائم الخشبية للهيكل المقام قبالة الحنية والظلة التي تعلوه ، أما الثقب الأخرى كانت تثبت فيها بعض الحواجز الخشبية الفاصلة وخلف الهيكل نجد الحنية أو المحراب وكان يصعد له بواسطة درجتين مزينتين من جانبيها بقاعدتين طول ضلعها 0.38 م. وجدت على الدرجة الثانية آثار ثقب يثبت فيها حاجز خشبي .أما المحراب في حد ذاته فكان مكونا من خمس درجات .



مخطط الكنيسة المدنية





كنيسة البوابة الشرقية





حنية البوابة الشرقية

ببيليوغرافيا البحث

أولا :المراجع باللغة الأجنبية

1- BALLU,Rapport de Fouilles de 1924,BCTH 1925.

2- BALLU,M'daourouch,Bulletin archéologique du comité des travaux historique et scientifiques,Paris 1912.

3- CHABASSIERE,Recherche aThubursicumNumidarum,Madauri et Tipasa,Recueil des notices et mémoire de la Société Archéologique de constantine, 1866.

4- GODARD(W) ,Inscription de M'daourouch,revue archéologique 1857.

5- valeur des sites archéologique de souk- Ahras, tome VI khmissa, Madaure, Tifech et Taoura, Alger.

6- Niel(o), Géographie de l'Algerie, Environs de Souk ahras, (2éd), ToME 1, BONE 1876 .

7- Gsell (st) et jolly (ch), khmissa, mdaurouch, Anouna, tomell: Mdaurouch, Alger 1922.

ثانيا:المراجع باللغة العربية

1. إبراهيم بورحلي،مستعمرة مادوروس واقليمها الترابي، أطروحة لنيل الدكتورة، معهد الاثار ،جامعة الجزائر،بوزريعة.2009-2010.

2. حاجي ياسين رابح،البازيليكات المسيحية في مقاطعة نوميديا ،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراة في تخصص اثار قديمة ،جامعة الجزائر،2008/2009.

3. شنيتي محمد البشير،التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني،الجزائر،1984.

4. عزت زكي حامد قادوس – محمد عبد الفتاح السيد،الاثار القبطية والبيزنطية، الاسكندرية ،2004.

خاتمة:

تعتبر الكنيسة من أهم الأماكن لتجمع المسيحيين في أرجاء العالم المسيحي، وخاصة في مقاطعة نوميديا التي تعتبر من المقاطعات المتشددة دينا نظرا لاحتدام الصراع الديني ، حيث نلاحظ عدم التجانس من الشمال إلى الجنوب في توزع هذه المعالم في حين نجدها منتظمة، وهيمنتهم على هذا الشريط، على حد تعبير النصوص الكاثوليكية المعاصرة.

ومنه نستنتج ان انتشار هذا المعلم الأثري له علاقة وطيدة بالأحداث التاريخية للفترات الزمنية، ففي الفترة ما قبل الوندالية نجدها نشيطة معماريا لأنها تميزت بالصراع والتنافس الدوناتي – الكاثوليكي ومحاولة كل تيار ديني إحراز الغلبة على الأخر من حيث العدد في البازيليكات مثلا وكيفية انتشارها التي تمثلت في المدينة أو في القرية ومن حيث العدد في أتباعها إلى أن وصلت إلى المشادات التي كانت تؤدي في بعض الأحيان إلى موت أعداد من أتباع كلا التيارين، حيث وصلتنا هذه الأحداث عن طريق النصوص المسيحية المعاصرة للكتاب الكاثوليكيين الذين كانوا ضد الدوناتيين، إذا سجلنا اغلب هذه المنشآت نجد انه قد استمر في استغلالها إلى فترات متأخرة

ومن مكونات المخطط البازيليكي نجد البازيليكا وملاحقها وما تحتويه كل منهم حيث نأخذ الاتريوم الذي كان من الوجهة الأثرية يلعب دور همزة الوصل بين مختلف المكونات المختلفة للبازيليكا ومن الوجهة الأخرى عبارة عن مكان وسطي بين حيز العبادة الحي المقدس الذي يمثل الجانب الروحي وبين الخارج الحياة الدنيا الذي يمثل الجانب المادي، وهو المكان المخصص عادة للمعوضين الذين يتلقون دروس في العقيدة المسيحية أو مكان للتعميد الجماعي إذا كانت الأعداد كبيرة ، أو للقيام بالطقوس الدينية .

وأخيراً، تميزت عمارة البازيليكات المسيحية في نوميديا بتنوع في الأنماط بالرغم من حفاظها على مر الفترات التاريخية إلى قبل الفتوحات الإسلامية على المخطط البازيليكي الذي تطور في مختلف أرجاء الإمبراطورية إلى أشكال أخرى كما تظهره المخططات المكتشفة منذ بدأ الاهتمام بهذا النوع من الآثار، فيقر اغلب الباحثين في الميدان، انه كلما تقدمت المسيحية في الزمن وتطورت، تطور معها مخطط البازيليكا. ففي فترة القرن الرابع ميلادي اقتبست مخطط البازيليكا وجعلته المخطط النموذجي ثم تطور في فترة القرن السادس ميلادي إلى أنماط أخرى مشتقة من المخطط البازيليكي المتطاول إلى مخطط مركزي دائري أو إلى مخطط صليبي الشكل. بينما في افريقيا وخاصة في نوميديا فقد حافظت إلى جانب اسبانيا على المخطط التقليدي، وهذا راجع ربما إلى إنقطاع التواصل الحضاري مع روما ثم القسطنطينية بسبب احتلال الممالك الجرمانية لهذه المنطقة. وبالتالي انغلقت على نفسها وحافظت بذلك على المخطط البازيليكي. ونلحظ هذا الاحتفاظ حتى في الفترة البيزنطية بالرغم من التأثيرات المشرقية فإننا نسجل فقط بعض التعديلات الطفيفة على مستوى صدر البازيليكا من حنية وبيت التعميد وغيرها.

فهرس محتوى البحث